سلسلة الرسائل (٣١)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

نصائح للمرأة الحاجة

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

إنَّ من أعظم دواعي الفرح والسرور رحلة الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام، قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس: ٥٨].

إنها لفرحة تغمر القلوب، إنها رحلة عظيمة، رحلة الحج والعمرة ليست رحلة نزهة، ولا رحلة عمل وتجارة، ولكنها رحلة إلى بيت الله الحرام، إلى بيت الله العتيق، رحلة تُقَرِّب العبدَ من ربِّه، قال الله تَعَالَى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[الحج: ٢٨].

أنت في رحلتك هذه تشهدين منافع ومصالح عظيمة، دينية ودنيوية، عاجلة وآجلة.

وإن من أجَلِّ المنافع والمصالح التي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحققها لكل حاجٍّ:

❖ رسوخ التوحيد والعقيدة، فالحاج دائمًا وهو يذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهو يوحد الله تَعَالَى، ومن قبل رحلة الحج وهو يوحد الله ويستعد للحج؛ رجاء ثواب الله عَزَّوَجَلَّ لا سمعة، ولا رياء، ولا من أجل أن يقال: هذا الرجل حج، أو هذه المرأة حجت، ولكن ﴿ أَلَا لِلَّهِ

ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥].

وروى الإمام مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائد» (٤٩): الْعَمَل بِغَيْر إخلاص وَلَا اقْتِدَاء كالمسافر يمْلَأ جرابه رَمْلا يثقله وَلَا يَنْفَعهُ. اهـ.

❖التلبية، وقد اشتملت التلبية على التوحيد: «لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

ومن تلك المنافع التي يشهدها الحاج تكفير ذنوبه، تمحى ذنوبه، ونحن النساء موقرات بالذنوب ليلًا ونهارًا.

ويقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا: يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

معنى الحديث: أن المتابعة بين العمرة والحج من أسباب تكفير الذنوب ومحوِهَا، مثل الحديد إذا نظِّفَ من الرواسب والغبار يصير نظيفًا، وهكذا الحج والعمرة يطهِّران الذنوب، وهذا من نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) رواه النسائي في «سننه» (٢٦٣٠)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، والحديث في «الصحيح المسند» (٦٩١) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحج الذي يُمحَى به الذنوب إذا كان مبرورًا.

فأنت احرصي أن يكون حجك مبرورًا، يعني: لا تعصين الله عَزَّوَجَلَّ وأنت في ذلك النسك؛ تقوًى لله عَزَّوَجَلَّ.

يقول النّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» رواه البخاري (١٥٢١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالحج المبرور يمحو الذنوب لكن بشرط:

أن يكون الحج خالصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

ولا رفث قبل التحلل، معنى «فَلَمْ يَرْفُثْ» أي: ما فيه جماع.

ولا فسوق، «وَلَمْ يَفْسُقْ».

والفسوق يشمل: الذنوب الصغيرة والكبيرة والبدع.

فأنتِ قد أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك بالمجيء إلى هنا لأداء هذه الشعيرة العظيمة.

يا ضيفة الرحمن قد حللت في مكة المكرمة، فاستغلي هذه الفرصة العظيمة، والحياة فُرَصٌ، والفُرص لا تُعوض، وهي أسرع ما تزول.

وقد خص الله عَزَّوَجَلَّ مكة والمدينة بالشوق والحنين إليهما، فما من أحد من أهل الإسلام إلا وهو في أشد الشوق لهاتَين البلدتَين ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن

﴿لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم: ٢٦-٢٧].

وقال إبراهيم نبي الله وخليله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-لما ترك أهله هاجر وولدها إسماعيل بتلك الأرض التي ليس يسكنها أحد ولا يأويها أحد، فتركها وانصرف وهو لا يلتفت، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ فقال لها: نعم، فقالت: إذًا لا يضيعنا، ثم رجعت(٢). سبحان الله! ثقة عظيمة بالله عَزَّوَجَلَّ، وحسن ظنٍّ به، تقول أم إسماعيل: «إذًا لا يضيعنا»-: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[إبراهيم: ٣٧].

قال الحافظ ابن كثير عن آية الحج(٢٧) من سورة إبراهيم: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ، حَيْثُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[إِبْرَاهِيمَ: ٣٧]، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ، فَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ.

---

(٢)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا؛ لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ ﴿إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]-حَتَّى بَلَغَ-﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]رواه البخاري (٣٣٦٤).

أيها الأخوات، نسك الحج والعمرة يُغَيِّر حال المسلم بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من منافع الحج والعمرة، فترجع من حجت ومن اعتمرت وهي على أحسن الأحوال، ترجع من المعصية إلى الطاعة، قد تكون تسمع الأغاني، أو تصافح الرجال كإخوة الزوج، أو عاصية لزوجِهَا، مؤذية لجيرانِهَا، تغتاب، تظلم وتعتدي، فترجع من المعصية إلى الطاعة، ومن التقصير إلى ساعد الجد والتشمير.

ترجع إلى بلدها إن شاء الله بحياة جديدة كالولد الذي ولدته أمه «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، هذا من أفضل النعم.

أخواتي في الله إن الحياة الدنيا قصيرة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان]، فجدي واجتهدي في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

أيها الحاجة، إنك إن شاء الله في هذه الرحلة رحلة الحج تكونين في عبادة: في ممشاك، وفي سفرك، وفي نفقة الحج، وقد تكون النفقة ثقيلة لكنها لها شأن عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، فيعوضك الله ويخلف لك بخير ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

فما أُنفِق من شيء في سكنات أو مواصلات أو تغذية فهي إن شاء الله في ميزان الحسنات، إن كانت خالصة لله عَزَّوَجَلَّ، لا من أجل التباهي والتفاخر، ولا رياء ولا سمعة، فنفقة الحج

تكون في سبيل الله، فاحتسبْنَ الأجر أنتن وأزواجكن ومحارمكن، وأجر الحج والعمرة «عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ»(٣).

وفي التنقلات في المشاعر أنتِ في عبادة؛ لأنك ما فعلتيه إلَّا رجاء ثوابِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذه نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الحاج يتقلب من عبادة إلى عبادة، نسأل الله أن يتقبل من الجميع ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

إن الحج جهاد المرأة كما ثبت ذلك عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: «لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البخاري (١٨٦١).

فالمرأة ليس لها أن تخوض في المعارك، وليس لها الدخول في العسكرة؛ فإنَّ هذا يخرج المرأة من أنوثتها، وأفضل جهاد المرأة الحج والعمرة؛ فلهذا لا بد من الصبر على العمرة والحج، لا بد من الصبر على التنقلات من هنا إلى هنا، فإن هذا يكون فيه مشقة على النفس

---

(٣)رواه البخاري(١٧٨٧) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ؟ فَقِيلَ لَهَا: «انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهُرْتِ، فَاخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ، فَأَهِلِّي ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ».

ورواه مسلم (١٢١١) بلفظ: « وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ أَوْ – قَالَ – نَفَقَتِكِ».

قال ابن بطال في « شرح البخاري»(٤/٤٤٥): أفعال البر كلها الأجر فيها على قدر المشقة والنفقة.

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥]. وقال تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وهذا من آداب الحاج التَّحَلِّي بخُلُقِ الصبر.

والحج يعين على التحلي بالأخلاق الفاضلة، وعلى الاستسلام لشرع الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ يتنقل الحاج من الطواف إلى السعي، ويذهب إلى منى، إلى عرفة، إلى مزدلفة...

هذه الأمور لماذا يفعلها الحاج؟

يفعلها امتثالًا لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

فمشاعر الحج والعمرة فيها تربية لنا على الاستسلام والامتثال لأوامر الله عَزَّوَجَلَّ واجتناب نواهيه.

أيضًا تحتاج الحاجة إلى توكل على الله، بمعنى: أنها تعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ وحده سبحانه، فالله بيده الضر والخير لا راد لقضائه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فنحن نحتاج إلى التوكل على الله في كلِّ أمورنا، بحيث لا نعتمد إلا على الله عَزَّوَجَلَّ مع بذل الأسباب.

وإن من أعظم الأسباب: الحرص على قراءة الأذكار، وقراءة الأذكار حصن حصين، وخاصة المعوذتين فمتى تيسر لك قراءتهما في الطريق أو غيره فاقرئيهما، النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول لابن عامر: «يَا ابْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [الناس]». رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٩٨).

يعني: أن هاتين السورتين-﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس]-من أعظم أذكار الاستعاذة والتحصين.

وأيضًا الحرص على الذكر والدعاء في أثناء الخروج يقال: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّه، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (٤).

هذا الذكر تحرصين على قوله في أثناء خروجك؛ ليكون لك حصنًا وسلامة إن شاء الله من كلِّ مكروه، حتى في الحضر في بلادك إذا خرجت من البيت احرصي على قوله.

و إذا نزلت منزلًا أو مكانًا في أثناء سفرك أو في أثناء حجك، مثلًا: وصلت إلى مسجد فنزلت فيه، أو إذا وصلت إلى عرفات أو إلى منى ونزلت فيهما، فقولي: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ

(٤) رواه أبو داود(٥٠٩٤)، والترمذي(٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجة (٣٨٨٤) عنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، كما ثبت هذا في «صحيح مسلم»(٢٧٠٨) عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

إذًا نكون مع الله عَزَّوَجَلَّ، ونكثر من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونتوكَّل على الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

ونحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وإن شاء الله يرجع الحُجاج والحاجات إلى بلادهم بذنبٍ مغفور، وسعيٍ مشكور، وبسلامة وخير وبركة وعافية.

احرصي أيتها الحاجة على تعلم مناسك الحج والعمرة، وعلى التفقه في مسائل الحج والعمرة؛ فإن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ..»(٥).

ما تكون الواحدة مثل الشاة تُقَادُ ولا تدري أين تذهب؟

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا في أشد الحرص على التعلم والاقتداء.

انظري إلى أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حجت مع النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة، وأَذَّن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالحج فأعلم الناس بأنه حاج، فقدم بشر كثير؛ ليقتدوا به، هِمَمٌ عالية، لم تكن تلههم الدنيا وتشغلهم عن الآخرة.

فأسماء لما علمت بحج النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكانت في آخر لحظات حملِها خرجت مع النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ وذلك حرصًا منها على الخير، فلما وصلت ذا الحليفة –ميقات أهل

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٢٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وله طرق وشواهد كثيرة.

المدينة، وهو قرب المدينة-وضعت محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنها قد وضعت فكيف تصنع؟ فقال لها النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي»(٦)

«وَاسْتَثْفِرِي»أي: تلبس ما يمنع نزول الحيض منها، كالحفائظ المعروفة في هذا الزمن.

ففي هذا الحديث: حرص أسماء حيث استفتت النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

وفيه: أن المرأة إذا قدمت حاجة وحاضت في الطريق قبل أن تُحرم، هل ترجع إلى بلدها؟ لا ترجع، فقد قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأسماء: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي».

إذًا تغتسل وتهلّ مع الحجاج، وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وتفعل ما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت، ولا تسعى لأنها تبدأ أوّلًا بالطواف ثم تسعى.

أخواتي في الله نتواصى بتعظيم شعائر الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

---

(٦) الحديث بطوله عند مسلم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه، قال: فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي».

حرمات الله يدخل فيها الأوامر والنواهي، إذا أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بأمر نستسلم وننقاد لأمره وشرعه، وإذا نهانا عن شيء فنجتنبه ونبتعد عنه، لا يكون حالنا كمن يقول: هذا ثقيل ما نستطيع فعله.

بل ننقاد لذلك فهذا من توقير حرمات الله عَزَّوَجَلَّ وشعائره، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

وإنَّ من تعظيم شعائر الله عَزَّوَجَلَّ: تعظيم الأماكن المقدسة ومشاعر الحج، فلا نؤذي الحجاج ولا نزاحم ولا ندافع، ولا كذلك مزاحمة الرجال في أبواب المساجد أو في الفنادق، فالزحام موجود ولكن ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

وكذلك في الطواف فالمرأة ما تقرُب من الكعبة في حال الزحام الشديد، فكلما رأت اصطدامًا بالرجال وزحامًا تتأخر عنهم.

وكذلك من تعظيم شعائر الله عَزَّوَجَلَّ: تجنب تصوير ذوات الأرواح؛ من أجل أن يكون حجك مبرورًا.

وأما من يكون حالها كذلك نخشى أن ترجع بدون حج مبرور، فالحج المبرور هو الذي لا يخالطه الذنوب.

وتصوير ذوات الأرواح كبيرة من الكبائر، فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ المُصَوِّرِينَ» رواه البخاري (٥٣٤٧).

وثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ»(٧).

«إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ» أي: وكلني الله بثلاثة.

«بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» أي: متكبر كثير العناد.

«وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» المشرك.

فأنت احرصي على اجتناب جميع المعاصي.

والزمي الهدوء والسكينة، واستغلي وقتك، فهي أيام قليلة تنقضي سريعًا، فلا تفرطي فيها بتجمعك بأخواتك وصاحباتك، فهذا يشغلك عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وعن قراءة القرآن، وقد يجرك هذا إلى الغيبة والنميمة والسخرية بالناس.

ابقي مع حجك واجتهدي وتضرعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قدِّمي لآخرتك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

---

(٧) رواه الترمذي(٢٥٧٤)، وهو في «الصحيح المسند» (١٤٠٦) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ما ينفعك إذا كنت في حفرة القبر وحدك إلا ما قدمتيه لنفسك من أعمال صالحة، وما ينفعك إذا كنت في عرصات يوم القيامة إلا عملك الصالح.

فهذه فرصة لا يستولي عليك النوم والكسل، فاغتنمي الفرصة واقرئي ما تيسر من القرآن الكريم، راجعي القرآن، وكوني مع الله عَزَّوَجَلَّ، واكثري من ذكر الله.

نتواصى أخواتي في الله بالتناصح، فإذا رأينا خطأ من أخت فتُنصح برفق ولين وبغير جدل، قال الله تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ الْبَقَرَة [١٩٧].

أسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

سؤال قُدِّم من بعض الأخوات عن: صيام العشر من ذي الحجة للحاج؟

لا مانع أن يصوم إلى التاسع إن أحب ذلك، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو أحرص الخلق على الخير لم يصم في حجته يوم عرفة.

وقد اختلف الصحابة في صيام النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة، فمنهم من يقول: ليس بصائم، ومنهم من يقول: صائم، فسخر الله عَزَّوَجَلَّ أم الفضل فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ فَشَرِبَهُ. فانجلى الأمر وعرف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه لم يصم.

فالأفضل للحاج ألَّا يصوم يوم عرفة.

وعشر ذي الحجة موسم من مواسم الخير، ففيها فضل عظيم، كما ثبت عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلا الجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلا الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» رواه البخاري (٩٦٩).

فتُستغل هذه العشر في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وفي المسابقة إلى الخير.

تم نشر هذه المحاضرة، ولله الحمد والمنة.

يوم الاثنين الموافق ١٦/ من شهر ذي القعدة/ لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.